

الحجيرة ٢١ من رمضان ١٤١٧ هـ
الموافق : ٣٠ من يناير ١٩٩٧ م

سلطنة عُمان
وزارة التعليم العالي

(التربية الوقائية في الإسلام)

محاضرة بنادي الخابورة : إعداد / د. علي سعد جاب الله

(كلية التربية للمعلمين بصحار)

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد الرسول الأمين ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديهم إلى يوم الدين. وبعد فإنها لمناسبة سعيدة أن نلتقي معكم في سلطنة عُمان لتندارس بعض أمور ديننا ودنيانا وأهنتكم جميعاً بشهر رمضان الكريم (مسؤولين وكبار ومشايخ وشباب واع مستنير). كما يشرفني أن أخص جلالة السلطان المعظم حفظه الله تعالى لشعبه وبلده ، بالتحية والدعاء ، وجعله الله عوناً للإسلام والمسلمين ... آمين .

مفهوم التربية الوقائية في الإسلام :

ونقصد بهذه التربية الوقائية كل ما يقدمه الإسلام من توجيهات ومبادئ تربوية ، في مجال التحصين والوقاية ، من الأمراض المختلفة - قبل العلاج منها - وذلك حرصاً على صحة الأفراد وسلامتهم ؛ لمواجهة ما يهدد المجتمع من أمراض جسمية ونفسية ، واجتماعية واقتصادية في كل زمان ومكان .

أو بمعنى آخر : إلى أي مدى يوفر الإسلام لأصحابه من الموانع القوية ، والحماية اللازمة ليس لعلاج ما يصبهم من معضلات فحسب ، بل لتحصينهم ووقايتهم منها ، قبل الدخول في متاعب العلاج ومرارته ، بهذه التربية الإسلامية الوقائية .. وسوف نتعرف هنا على بعض جوانب هذه التربية الوقائية ، تحقيقاً لما ينشده المجتمع من تربية صحيحة بمفهومها الشامل لجميع أفرادها في كافة مجالات الحياة :

بعض مجالات التربية الوقائية في الإسلام :

- (١) في مجالات الوقاية من التخمّة والسمنة ، ومن الإسراف والتبذير ، ومن أجل التماس الشفاء ، نجد كثيراً من التوجيهات التربوية الإسلامية والتي منها :
- * قول الله تعالى : ﴿ وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين ﴾ (الأعراف : ٣١) .
- * وعندما أرسل المقوقس ملك مصر إلى الرسول صلى الله عليه وسلم هدية عبارة عن جارية ومعها طبيب ، فقبل صلى الله عليه وسلم الجارية وهي مارية ، والتي أنجب منها ولده إبراهيم . ورد الطبيب قائل : « نحن قوم لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لا نشبع ... » .
- * ويأكل الإنسان من كل طيب نافع وحلال ، ويبتعد عن كل خبيث ضارٍ وحرام ، فيقول الله تعالى - مخاطباً كافة الناس : ﴿ يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين ﴾ (البقرة : ١٦٨) .
- ثم يخص جماعة المؤمنين بقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون ﴾ (البقرة : ١٧٢) .
- * ويوجهنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى القيمة الغذائية العالية في بعض أصناف معينة من الطعام ، والتي أثبت العلم الحديث فوائدها الغذائية الكبيرة لاشتمالها على كثيرٍ من الفيتامينات والعناصر الضرورية لجسم الإنسان ويأتي في بدايتها التمر فعنه صلى الله عليه وسلم :
- « بيت لا تمر فيه جياح أهله .. » بمعنى أن غذائهم ناقص ... و « من تصبح بتمرات من عجوة لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر .. » و « من أكل سبع تمرات مما بين لابتيها حين يصبح لم يضره شيء حتى يمسي » (السنن الكبرى : ج ٨ : ١٣٥ ، وج ٩ : ٣٤٥) .
- * وعن غسل النحل ورد قوله تعالى : ﴿ يخرجُ من بطونها شرابٌ مختلفٌ ألوانه ، فيه شفاء للناس ، إن في ذلك لآيةٌ لقوم يتفكرون ﴾ (النحل : ٦٩) . وقد أقسم الله تعالى بكثير من الفواكه تعظيماً لقدرها وتنبئها إلى التفكير في قيمتها ومنها : التين والزيتون .
- * وجاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إن بطن أخي قد استطلق . فقال : اسقه العسل ، فسقاه . فقال قد سقيته فلم يزد إلا استطلاقاً ، فقال : اسقه عسلاً . في الثالثة أو الرابعة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : صدق الله وكذب بطن أخيك اسقه عسلاً . فسقاه فبرأ . رواه البخاري ومسلم (السنن الكبرى : ج ٩ : ٣٤٤) .
- * وفي مجال الشفاء أيضاً قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « عليكم بالشفائين العسل والقرآن » ويقول عبدالله بن مسعود رضى الله عنه : (في القرآن شفاءان القرآن والعسل ، القرآن شفاء لما في الصدور ، والعسل شفاء من كل داء) .

* وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « عليكم بهذه الحبة السوداء فان فيها شفاءً من كل شيء أو داء إلا السَّام . يريد به الموت » رواه مسلم والبخاري .. وعن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله عز وجل لم يُنزل داءً إلا وضع له شفاءً إلا السَّامُ فعليكم بالبان البقر فإنها ترم من كل شجر » . وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « عليكم بالاثمد فإنه يجلو البصر وينبت الشعر » (السنن الكبرى : (ج ٩ : ٣٤٥ ، ٣٤٦) .

* ويأتي اعتدال المنهج الإسلامي هنا بالوسطية والاعتزان ، حيث لا إفراط ولا تفريط في حياة المسلم ، فيقول الله تعالى : ﴿ ولا تجعل يدك مغلولةً إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتتعد ملوماً محسوراً ﴾ (الإسراء : ٢٩) . ومن الحكم العربية الماثورة : حب التناهي شطط خير الأمور الوسط .

وهنا يتحقق مبدأ الوقاية من الشح والبخل فلا يجوع الإنسان نفسه وأهله ، ويضن بماله ، فلا ينفق في سبيل الله ، والوقاية من الإسراف والتبذير وإلقاء الفائض من الطعام والشراب في سلة المهملات. وإذا لم يصن الإنسان نعمة ربه فيمكن في حسرة وحزن شديدين على حالته تلك بعدم التزامه بوقاية الإسلام في هذا المجال .

* ويأتي التوجيه النبوي حاسماً مسألة الطعام كماً وكيفاً مع تحديد الغاية منها فيقول صلى الله عليه وسلم : « بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فإن كان لامحالة فاعلاً فثلثٌ لطعامه وثلثٌ لشربه وثلثٌ لنفسه .. » .

ويحضرني هنا طرفة أحد الصالحين لرفع الحرج عن ضيف له أخرجته أحد الحضور ؛ لأنه تخيل الضيف قد زاد عن هذا الثلث في الأكل فقال له : أما علمت بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فثلثٌ لطعامه .. » ، فقال هذا الشيخ الصالح وكان صاحب البيت : يا أخي دعه فكلكم أعلم بثلثه .

ونحن نسمع الآن في العصر الحديث عن بيوت الخبرة المنتشرة في أنحاء العالم عن التخسيس وما يطلق عليه (الرجيم) ... بينما التوجيه القرآني والسنن النبوية تتضمن الكثير من الوسائل الوقائية قبل الإصابة بهذه الأمراض .

(٢) في مجالات الوقاية من القلق والأمراض النفسية :

* يأتي قول الله تعالى : ﴿ فأثابكم غمّاً بغمٍ لكي لا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم والله خبير بما تعملون ﴾ (آل عمران : ١٥٣) . و ﴿ لكي لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور ﴾ (الحديد : ٢٣) .

والفرح المنهي عنه هو الفرح الذي يؤدي الى الطغيان وعدم شكر النعمة حيث زجر الله تعالى قارون على لسان قومه : ﴿ لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين ﴾ (القصص : ٧٦) . وهو فرح بطر واختيال .

وهذا يدل على ضرورة النظر الى المستقبل مع العبرة بما مر به الإنسان من ماضٍ وما يعيش فيه من حاضر . دون مبالغة شديدة في الحزن على ما فات ومضى وفي ذلك يقول الشاعر العربي :

لا تشغل البال بماضي الزمان ولا بات العيش قبل الأوان

* ويقول الله تعالى موجهاً عباده إلى ضرورة الشكر والحمد له سبحانه، على نعمه التي لا تعد ولا تحصى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ، وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ (إبراهيم: ٧) .
ويأتي قول الرسول صلى الله عليه وسلم « .. لا تقل لو أني فعلت كذا كان كذا ولكن قل قد قدر الله وما شاء فعل، فَإِنَّ لو تَفَتَّحَ عَمَلُ الشَّيْطَانِ .. » . وقفة مع تفسير واستنتاج ...

* وقول الله عز وجل : ﴿ وَيُشِرُّ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابْتَهُمْ مَصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ (البقرة : ١٥٥ ، ١٥٧) . و ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (القصص : ٨٨) . و ﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (التوبة : ٥١) . و ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ (الرحمن : ٢٦ ، ٢٧) . و ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ، وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ، إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ، قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا .. ﴾ (الطلاق : ٣ ، ٢) .

* وبهذا المنهج الإسلامي تتحقق سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة ، فلا يعرف المرضُ النفسي والقلقُ له طريقاً عندما يرضى بما قسمه الله تعالى ، حيث تكون سعادة الإنسان وخيره الكثير في الرضا ، والتوكل على الله ، وتفويض الأمر إليه سبحانه ، مع الأخذ بالأسباب ، وتكون السعادة أيضاً في القناعة والإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره ... وفي ذلك يقول صلى الله عليه وسلم :

« عجباً لأمر المؤمن فإن أمره كله خيرٌ . إن أصابته سراءٌ شكرٌ فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراءٌ صبرٌ فكان خيراً له » . وفي حديثه صلى الله عليه وسلم لابن عباس « .. واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء فلن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء فلن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك .. » .

* ويأتي توازن الإسلام أيضاً محققاً لما ننشده من صحة نفسية ، تحقيقاً لراحة البال واطمئنان القلب في دعائنا الإسلامي المشهور :

(اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا .. وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا .. وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا .. واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير .. واجعل الموت راحة لنا من كل شر)
وبذلك تكون معادلة المؤمن : دين ودنيا وآخرة ——— و حياة موت ثم بعث وحساب .

(٣) وفي مجالات الوقاية من بعض الأمراض الاجتماعية وخاصة المتصلة بالمتاعب الزوجية أو كراهية العشرة . جاءت التوجيهات التربوية للنصوص الإسلامية التالية :

* عن المغيرة الصحابي الجليل رضي الله عنه أنه خطب امرأة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: « أنظرت إليها » قال : لا . فقال صلى الله عليه وسلم : « ارجع فانظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما » . وقد روى الإمام أحمد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أشيروا على النساء في أنفسهن ، فقالوا : إن البكر تستحي يارسول الله ؟ قال صلى الله عليه وسلم : الثيب تُعربُ عن نفسها بلسانها والبكر رضاها صمتها » (مسند الإمام أحمد: ج ٥ : ٢١٤) . وهو ما يُعبرُ عنه المثلُ العربي : (السكوت علامة الرضا) .

* وقد وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم طالبَ الزواجِ إلى حسنِ اختيارِ الزوجةِ منذ البداية ، حتى لا يكون نادماً وساخطاً في النهاية . فعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « تُنكحُ المرأةُ لأربع : لمالها ، ولحسبها ، ولجمالها ، ولدينها . فاظفر بذات الدين تربت يداك » رواه الجماعة إلا الترمذي (نيل الأوطار للشوكاني : ج ٦ : ١٠٥) . أي التصقت يداك بالتراب ندماً على سوء اختيارك بالإعراض عن ذات الدين ، وهو دعاء بالفقر والضيق والحاجة . وإن كانت ذات دين مع صفات أخرى فهذا خيرٌ وبركة . وفي حديث عبدالله بن عمر، يوضح لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يترتب على اختيار كل خصلة من هذه الخصال الأربع، فيقول عليه الصلاة والسلام : « لا تزوجوا النساء لحسنهن فعسى حُسْنُهُنَّ أن يرديهن ولا تزوجوهن لأموالهن فعسى أموالهن أن تُطغيهن ولكن تزوجوهن على الدين ، ولأمة سوداء ذات دين أفضل » (نيل الأوطار للشوكاني : ج ٦ : ١٠٦) .

* ومن ناحية أخرى فقد نبه الإسلام إلى حسن اختيار الزوج المتقدم أيضاً لخطبة إحدى بناتنا . وفي ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم مخاطباً أولى الأمر : « إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه ، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير » .

ويتحقق مبدأ الوقاية هنا في تحذير رسول الله صلى الله عليه وسلم « إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير » وذلك إذا امتنع ولي الأمر عن تزويج صاحب الدين والمخلوق وفضل عليه عرضاً زائلاً .

* وقد أمرنا الله عز وجل بحسن معاشرته الزوجة والرفق بها فقال سبحانه وتعالى ﴿ وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضراً لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ﴾ (البقرة : ٢٣١) . و ﴿ وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً ﴾ (النساء : ١٩) . و ﴿ فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف وأشهدوا ذوي عدل منكم وأقيموا الشهادة لله ﴾ (الطلاق : ٢) .

* وقد أوصانا سيد الخلق صلى الله عليه وسلم بالنساء خيراً فقال : « واستوصوا بالنساء خيراً ، فإنهن خُلِقنَّ من ضلعٍ أعوج ، وإن أعوجَ شيءٍ في الضلعِ أعلاه ، فإن ذهبت تقيمه كَسَرْتَهُ وإن تركته لم يزلْ أعوجَ ، فاستوصوا بالنساء خيراً » (الجامع الصحيح للبخاري : ج ٣ : ٣٨٣) .

* ومن ناحية أخرى فقد أمر الشرع الحنيف الزوجة بأن تلبّي دعوة زوجها إلى نفسها . فعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلم تأته ، فبات غضبانَ عليها ، لعنتها الملائكة حتى تصبح » . وفي نفس الوقت حَرَّمَ على الرجل إقضاء سر زوجته ، فعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن من أشر الناس عند الله منزلةً يوم القيامة ، الرجل يفضي إلى امرأته ، رتضي إليه ، ثم ينشُرُ سرَّها » . (صحيح مسلم ، كتاب النكاح : ١٠٦٠) . وبذلك يتحقق مبدأ الوقاية من هدم البيوت أو زلزلة البناء الأسري ، فتعيش الأسرة المسلمة سعيدة في دنياها وأخرها ، وفي عزة وكرامة بعيداً عن كافة المتاعب والأمراض الاجتماعية والنفسية .

(٤) وفي مجالات الوقاية من الوقوع في الفواحش والكبائر ، وذلك باجتنابها كلية والابتعاد عنها : * فيأتي نهي القرآن ، وتحذيره الشديد ليس من الوقوع في جريمة الزنا فحسب ، ولكن بعدم الاقرب منها البتة . ، وذلك بغلق أبوابها تماماً ، والابتعاد عن مقدماتها الشنعاء فقال تعالى : ﴿ ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلاً ﴾ (الإسراء : ٣٢) . والتعبير القرآني هنا في قمة الفصاحة والبلاغة والبيان ، حيث التعبير بـ « ولا تقربوا » أبلغ وأحرص وأوقى للإنسان من الوقوع في المعصية ، كما يفيد شدة التحريم وقوته حيث لم يأتي اللفظ بـ (لا تزنوا .. أو حرّم عليكم الزنا) بل اشتمل على ضرورة اجتناب جميع مقدمات الزنا والعياذ بالله فقال سبحانه وتعالى : ﴿ ولا تقربوا .. ﴾ .

* ولذا جاءت التريية القرآنية بغض البصر عما يغضب الله تعالى : ﴿ قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ﴾ (*) ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ، إن الله خبير بما يصنعون . وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها .. ﴿ (النور : ٣٠ ، ٣١) . ويأتي التوجيه النبوي الشريف : « النظرة سهم من سهام إبليس من تركها مخافة الله أبدله الله بها حلاوةً يجدها في قلبه » .. وعن بُرَيْدَةَ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعليّ : « يا عليّ لا تتبع النظرة النظرة فإنما لك الأولى ، وليس لك الآخرة » رواه أحمد وأبو داود والترمذي (نيل الأوطار للشوكاني : ج ٦ : ١١١) .

وليس معنى النظرة الأولى هنا أن تكون نظرة فاحصة طويلة مدققة ، وإنما هي نظرة الفجأة العابرة والبريئة الطهارة . وبذلك يكون غض البصر في بداية الأمر وقاية للإنسان وحفظاً من الوقوع في المحرمات .

* ثم يأتي التوجيه النبوي الشريف ترغيباً في الالتزام بشرع الله ، وفي الفوز بالجنة ونعيمها ، عندما يقي المسلم نفسه ويحصنّها من أكبر المصائب وهي مصائب اللسان ، وجرائم الفرج . وفي ذلك يقول صلى الله عليه وسلم : « من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة » . رواه البخاري (السنن البكري للبيهقي : ج ٨ : ١٦٦) .

(*) (يغضوا من أبصارهم) : يكفرو نظرم عن المحرمات - (إلا ما ظهر منها) : الوجه والكفين والقدمين .

وفي هذا المجال توضح لنا السنة النبوية خصال الزوجة الصالحة بأنها هي التي : (إذا نظرت إليها سرتك ، وإن أمرتها أطاعتك ، وإذا غبت عنها حفظتك في نفسها ومالك وأولادك) .
* وقد جعلت السنة النبوية للرجل أجراً إذا أتى أهله في الحلال الطيب ، ترغيباً له في اتباع الحلال ، ووقاية له من الوقوع في الحرام .. فيقول صلى الله عليه وسلم فيما معناه :
« وفي بضع أحدكم صدقة » قالوا : يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له بها أجر . قال :
« فإن وضعها في حرام أيعون عليه بها وزر ؟ ! » . قالوا : نعم ! قال : « فإن وضعها في حلال فيكون له بها أجر » .

* وفي مجال الكبائر نجد الوقاية أيضاً من عقوق الأبناء : فيقول الله تعالى : ﴿ ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين .. ﴾ (لقمان : ١٤) . ويأتي الأثر الإسلامي :
(بَرُّوا آبَاءَكُمْ تَبَرُّكُمْ أَبْنَاؤَكُمْ ...) . وقولُ عمر بن الخطاب رضي الله عنه لمن اشتكى له ولده ...
(لقد عقلت ابنك قبل أن يعقك ..) .

وتحضرني قصة واقعية رواها رجل مسن شعبة في الإسلام : حيث رأى شاباً يضرب أباه أمام بستان . فقال الشيخ المسن : والله لقد رأيت الأب المضروب يضرب أباه قبل ذلك في نفس المكان .
وبذلك يحقق مبدأ الوقاية من عقوق الأبناء عند الكبر ، بأن يبر المسلم أباه ، ويحسن إليهم عند كبرهم ، ليحسن إليه أبناؤه عند كبره ، وأن يحسن الإنسان تربية أبنائه وفي حقوقهم ، حتى يكونوا لربهم صالحين طائعين ، ولآبائهم بارين محسنين ، ومن هنا تتحقق عدالة الإسلام في قول النبي صلى الله عليه وسلم : « البر لا يبلى والذنب لا يئس والديان لا يموت . اعمل ما شئت كما تدين تُدان » .
(٥) وفي مجالات الوقاية من الأمراض والمحافظة على الصحة العامة ، بالنظافة الشخصية ، واتباع التعليمات الصحية ، حيث جاءت كثير من التوجيهات الإسلامية في هذا المجال ونوضح منها ما يلي :

* توجيهات السنة النبوية المطهرة ومنها : (بارك الله في طعام غُسلَ له ، وغُسلَ منه) و « تقليم الأظافر ، ونتف الإبط ، وحلق العانة ...) وغيرها من جوانب النظافة الشخصية .

* ويقول الله تعالى : ﴿ إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين .. ﴾ (البقرة : ٢٢٢) . و ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم ، وأيديكم إلى المرافق ، وامسحوا برؤوسكم ، وأرجلكم إلى الكعبين ﴾ (المائدة : ٦) . وحرصاً على المظهر الحسن والملبس الطاهر النظيف يقول الله تعالى : ﴿ يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد ، واكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين ﴾ (الأعراف : ٣١) .

* وقد جمع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بين نظافة الظاهر ونظافة الباطن في حديثه الشريف :
« أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات ، أيبقي ذلك من درنه شيء »
فقالوا : بلى لا يبقي ذلك من درنه شيء . قال : « فذلك مثلُ الصلوات الخمس يحو الله بهن الخطايا » .

* وقد نهى الإسلام عن إلقاء الفضلات أو القاذورات - بطريق مباشرٍ أو غير مباشر - في الماء الجاري أو الراكض ، للوقاية من انتشار الأوبئة والأمراض .. وقد نهى صلى الله عليه وسلم أن يبال في المغتسل فقال : « لا يَبُولَنَّ أَحَدُكُمْ فِي مَسْتَحْمِهِ ، ثُمَّ يَغْتَسِلُ فِيهِ أَوْ يَتَوَضَّأُ ، فَإِنَّ عَامَةَ الْوَسْوَاسِ مِنْهُ » رواه أبو داود وأحمد بن حنبل (السنن الكبرى للبيهقي ج ١ : ٩٨) . وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « اتَّقُوا الْمَلَأَجْنَ الثَّلَاثَ : الْبِرَازَ فِي الْمَوَادِّ ، وَقَارِعَةَ الطَّرِيقِ ، وَالظَّلَّ » (السنن الكبرى ج ١ : ٩٧) .. وقد جعل صلى الله عليه وسلم (إماطة الأذى عن الطريق صدقة) .. وقد أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بتنظيف البيوت وعدم التشبه باليهود فقال : « نَظَّفُوا أَفْنِيَّتِكُمْ وَلَا تَتَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ » .. ولوقاية المسلم من مس الجن ، أو من إيذاء بعض الحشرات الضارة فقد قال صلى الله عليه وسلم : « لَا يَبُولَنَّ أَحَدُكُمْ فِي الْجَحْرِ ، وَإِذَا نَمْتُمْ فَاطْفَنُوا السَّرَاجَ فَإِنَّ الْفَارَةَ تَأْخُذُ الْفَتِيلَةَ فَتَحْرُقُ أَهْلَ الْبَيْتِ ، وَأَوْكِنُوا الْأَسْقِيَةَ ، وَاخْمُرُوا (أَي غَطُّوا) الشَّرَابَ ، وَأَغْلِقُوا الْأَبْوَابَ » . فليل لقتادة : وما يكره من البول في الجحر فقال : إنها مساكن الجن . (السنن الكبرى ج ١ : ٩٩) .

* وقد حذّر صلى الله عليه وسلم من إهمال المتوضأ لغسل الكعبين وبطن القدمين ، حرصاً على المزيد من نظافتهما ووقايتهما مما قد يعلق بهما من أوساخ ، تؤدي إلى نمو بعض الفطريات أو المكروبات المسببة لبعض الأمراض الجلدية . فقال صلى الله عليه وسلم : « وِيلٌ لِلْأَعْقَابِ وَبَطُونِ الْأَقْدَامِ مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » (مسند الإمام أحمد ج ٥ : ٢١٤) .

* ولأن المعدة بيت الداء فقد فرض علينا الشرع الحنيفُ صيامَ شهرِ رمضانَ الكريم مرةً كل عام ، حرصاً على الصحة والعافية ، وتطهيراً للنفس بالطاعة والتقوى ، وجعلَ اللهُ الصومَ أفضلَ من الإفطار - في حالة التعذر - ﴿ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ .. ﴾ . ويوجهنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى قيمة الصوم فرضاً ، وتطوعاً في بعض الأيام التي يسن صيامها بقوله صلى الله عليه وسلم : « صُومُوا تَصِحُّوا .. » . وحياتنا العربية مليئةٌ بأمثلةٍ حقيقيةٍ لمن لا تتحسن صحتهم إلا في شهرِ الصيام ، وآخرين تذهب أوجاعهم ، وترتاح معدتهم .. وهناك من ينضبط لديهم ارتفاع أو انخفاض نسبة السكر في الدم بهذا الصيام .

* ولأهمية البيئة الخضراء والثروة الزراعية في توفير الهواء الصحي وفي الوقاية من قبيح الحر وضيق التنفس فقد حرم الإسلام قطع كل ما هو نافع من أشجار ، فعن عبدالله بن حبشي رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قطع سدرَةً صَوَّبَ اللهُ رَأْسَهُ فِي النَّارِ » .

وللوقاية من الجوع والفقر المضيعان للصحة والمنسببان في كثير من الأمراض، أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بزراعة الأرض ، فضلاً عن الإشعار بإصلاح وتمهيد ما لا يكون صالحاً للزراعة منها ، ويبدو هذا واضحاً في قوله صلى الله عليه وسلم : « من كانت له أرضٌ فَلْيَزْرَعْهَا ، أَوْ لِيَذَرَهَا ، أَوْ لِيَمْنَحْهَا » . أي ليقم بزراعتها هو ، أو ليركها حتى ينتفع بها غيره فيزرعها ، أو ليكن هو كريمٌ فيمنحها لغيره من أهل الخبرة حتى يزرعها فيعم الخيرُ والفائدةُ على جميع أفراد المجتمع .

وبذلك يتحرر المجتمع الإسلامي عندما تتسع مساحة الرقعة الخضراء في أراضيه ، ويتغلب على كافة الضغوط العالمية التي تتخذ ، من القمح والحبوب والمواد الغذائية ، سلاحاً استراتيجياً في حروبها الاقتصادية والعسكرية . ويذكر المفكر الإسلامي الكبير فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي أنه : (لا يكون الفكر من الرأس ، إذا لم يكن الأكل من الفأس) .

* وفي مجال أثر هذه البيئة الخضراء في تربية الحس والإحساس بالجمال ، يأتي الأثر الإسلامي القائل : (ثلاثٌ يُذهبن الحزن : الخضرة - الماء - والوجه الحسن) . إذ عندما يذهب الحزن يصحُ البدن ، وتقوى الأعضاء ، وتعملُ في جدٍ ونشاط ، ويبعدُ عنها كلُّ كسلٍ ومرضٍ وخمول .

* وحرصاً على الصحة وتوفيراً للهواء النقي اللازم لها ، وحمايتها من أي ضرر يلحق بها عند النوم ، فقد نهى صلى الله عليه وسلم أن نترك النارَ مشتعلةً في البيت ليلاً عند النوم ، فضلاً عما يسببه ذلك من بعض الكوارث كحدوث الحرائق . فعن عبدالله بن عمر رضي الله عنه أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تتركوا النارَ في بيوتكم حين تنامون » (مسند الإمام أحمد : ج ٢ : ١٣٥) . فيكون في ذلك أيضاً وقايةً من شرِّ النار ، حين تعبتُ بها فأرةٌ ، أو حشرةٌ زاحفةٌ أو طائرةٌ ، فتنتقل النيرانَ عندما تجري منها في أرجاء البيت والناسُ نيام .

* وبالجمللة فإن وقايةَ الإنسان ، في اجتناب كل ما حرمه الله تعالى من الطعام والشراب والسلوك ، ولناخذ لذلك مثلاً في تحريم الإسلام لأكل لحم الخنزير ، حيث أثبت العلم الحديث أن لحم الخنزير مستودعٌ لأخْبثِ أنواعِ الجراثيم الدقيقة ، وأخْبثِ أنواعِ البكتريا ، والفيروسات ، بل إن تركيبَ اللحم ذاته يضرُ بصحةَ الإنسان ، ولهذا ظهرتُ صيحاتٌ قويةٌ الآن في بلاد أوربا للتخلص من لحم الخنزير ، والإعراض عن أكلها، حيث تُوجدُ بها بعضُ الديدان الخطيرة والتي منها الدودة اللولبية ، والدودة الشريطية ، والديدان المستديرة ، فضلاً عن دورة البلهارسيا . وجميعها يسبب للإنسان أمراضاً خطيرة كتورم الجسم ، والتشنج العصبي ، وانسدادِ الأمعاء ، والنزيف وفقرِ الدم ، وغيرها من الأمراض التي غالباً ما تؤدي بحياة الإنسان .

وصدق الله تعالى إذ يقول في كتابه الحكيم: ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ ، الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ، يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَجُلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ ، وَيَحْرِمُهُمْ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ، وَيُضَعُّ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ، فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ، أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (الأعراف : ١٥٧) .

وقد فصل القرآن الكريم مواصفات ما حُرِّمَ من اللحوم ؛ ليلتمس الإنسان طعامه فيما أحل الله له من طيبات ، ويعيداً عن هذه المحرمات التي وردت في قوله تعالى : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالِدَمُّ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ ، وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَفَقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ ، وَالْمُتَرْدِيَةُ وَالنَّطْحِيَّةُ ، وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذُكِّبْتُمْ ، وَمَا ذُبِحَ عَلَى النَّصَبِ ، وَأَنْ تَسْقِسُمُوا بِالْأَزْلَامِ ، ذَٰلِكُمْ فَسَقٌ . الْيَوْمَ يُنَسُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ ، فَلَاتَخْشَوْهُمْ وَأَخْشَوْنَ ، الْيَوْمَ أَكَلْتُمْ لَكُمْ دِينَكُمْ ، وَأَقَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ (المائدة : ٣) .

ويلاحظ أن الآية الكريمة السابقة قد تضمنت تفاصيل اللحوم المحرّم أكلها كما يلي :

- الميتة - الدم - لحم الخنزير : ولكنها معروفة - (المنخقة) : الميتة بالخنق - (الموقوذة) : الميتة بالضرب - (المتردية) : الميتة بالسقوط من علوٍ - (النطيحة) : الميتة بالنطح - (وما أكل السبع) : ما أكل منه السبع فمات بجرحه له - (إلا ما ذكيتم) : ما أدركتموه وفيه حياة فذبحتموه حلالاً طيباً لكم .

وقد وردَ في أسباب نزول هذه الآية : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الميتة .. ﴾ أن جِبَّانَ الصحابي الجليل قال : (كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنا أوقدُ تحت قدرٍ فيه لحمٌ ميتةٍ فأنزلَ تحريمُ الميتة ، فأكفأتُ القدرَ) . ونرى في هذا من قمة الطاعة والانقياد لشرع الله تعالى ...

(٦) وفي مجالات الوقاية من المشاحنات ، والحد من المنازعات التجارية ، والغش في المعاملات ، تأتي التربية الإسلامية بتوجيهاتها الوقائية التالية :

* تحرم التربية الإسلامية بيعَ وشراءَ كل ما هو في علم الغيب؛ للوقاية من الوقوع في برائن كل مخادع كذب ؛ ولتنقية المجتمع من الفساد والغش ، ويبدو هذا واضحاً فيما رواه الإمام أحمد عن ابن عباسٍ قال : « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيعِ الغررِ » قال أيوب : وفسر يحيى بن أبي كشير (الغرر) بقوله : (إن من الغرر : ضربةُ الغائص ، وبيعُ الغررِ العبدُ الأبق ، وبيعُ البعيرِ الشارد - وبيعُ الغررِ ما في بطونِ الأنعام - وبيعُ الغررِ ترابُ المعادن - وبيعُ الغررِ ما في ضروعِ الأنعام إلا بكيل) (مسند الإمام أحمد : ج ١ : ٤٩٧) .

* وقال صلى الله عليه وسلم : « لا يصلحُ بيعُ الثمرِ حتى يتبينَ صلاحُه » (مسند الإمام أحمد ج: ٢ : ١١٤) . وعن ابنِ عمرَ رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا يبيعُ الرجلُ على بيعِ أخيه ، ولا يخطبُ على خطبةِ أخيه ، إلا أن يأذنَ له » (صحيح مسلم : ج ٢ كتاب النكاح : ١٠٣٢) .. وعليه فلا ينبغي أن يقولَ الرجلُ لمن اشترى بضاعةً أو شيئاً : افسخْ هذا العقدَ وأنا أبيعك مثله بأرخصَ من الثمنِ الذي اشتريت به ، أو أعطيك بضاعةً أجودَ منها وبنفسِ الثمنِ .

* وقد حرّمَ الشرعُ الحنيفُ أكلَ أموالِ الناسِ بالباطل ، وإضاعةَ المالِ فيما لا يفيد ، وحرّمَ الرشوةَ مصدراً ومورداً وواسطةً ، فقال الله تعالى :

﴿ ولاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ، وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقاً من أموالِ الناسِ بالإثم وأنتم تعلمون ﴾ (البقرة : ١٨٨) .. وقال صلى الله عليه وسلم فيما معناه : (الراشي والمرتشي والرائشُ في النار) . والرائشُ هنا هو ذلك الواسطة التي تسعى لتقديم الرشوة من الراشي إلى المرتشي ، حيث لا يتعامل هذان دائماً في وضع النهار ، بل يكونان في حاجة دائماً إلى هذا الرائش الفاسق .

وبذلك يتحقق مبدأ الوقاية من ضياع الحقوق والغش وفساد الذمم ، ومن أكل أموال الناس بالباطل فَتَحُلُ البركةُ ، ويزدادُ الخيرُ ، ويعمُّ الرخاءُ ، عندما يعتمدُ البيعُ والشراءُ وكافةُ المعاملاتِ الماليةِ والتجاريةِ على المصارحةِ والصدقِ والأمانةِ بين الأطرافِ المتعاملةِ من أفرادِ المجتمعِ .
* وبعد فهذا قليلٌ من كثيرٍ ، ونقاطٌ من خضمٍ كبيرٍ ، لما تتضمنه التربيةُ الإسلاميةُ من توجيهاتٍ وقائيةٍ ؛ لتحصين الفردِ والمجتمعِ من كثيرٍ من الأمراضِ والمعضلاتِ .

ونحن في أشدِّ الحاجةِ إلى هذه التوجيهاتِ اليومَ وغداً كالمحافظةِ على البيئةِ ، والالتزامِ بالقواعدِ والتعليماتِ الصحيةِ ، والمعاملاتِ الاجتماعيةِ والماليةِ النظيفةِ والشريفةِ ، والحفاظِ على سلامةِ الجسمِ ، وإدراكِ أهميةِ الوقايةِ ، والعلاجِ من كلِّ داءٍ ، حيث أمرنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالتداوي، شريطةَ الابتعادِ عن التداوي بالحرماتِ ، إذ يأتي التوجيهُ النبويُّ الشريفُ : (لم يجعل اللهُ دواءً أمتي فيما حُرِّمَ عليها) .

وفي نهاية هذه المحاضرة ندعو الله تعالى أن يُنعمَ علينا بالصحةِ والعافيةِ ، وأن يجعلَ تجمُّعنا هذا تجمُّعاً مغفوراً ، وتفرَّقنا من بعده تفرقاً معصوماً ، وأن يتقبلَ منا الصيامَ والقيامَ وصالحَ الأعمالِ . اللهم اجعل هذا البلدَ آمناً مطمئناً سخاءً خصباً قوياً ، وسائرَ بلادِ المسلمين آمين يارب العالمين .

وكل عام وأنتم بخير

مصادر هذا البحث

- * القرآن الكريم ...
٢ - أبو عبدالله بن محمد إسماعيل البخاري (٢٥٤-٢٥٦ هـ) : الجامع الصحيح .. ج ٣ ، القاهرة : المكتبة السلفية ، الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـ .
٣ - الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٠٦ - ٢٦١ هـ) : صحيح مسلم ، ج ٢ ، القاهرة : مطبعة دار إحياء الكتب العربية (د.ت) .
٤ - الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (٤٥٨ هـ) : السنن الكبرى مع الجوهر النقي لابن التركماني (٧٤٥ هـ) بيروت : دار المعرفة (د.ت) .
٥ - الإمام أحمد بن محمد بن حنبل (١٦٤ - ٢٤١ هـ) : مسند الإمام أحمد ، ج ٥ ، بيروت : دار إحياء التراث العربي ، الطبعة الثانية ١٤١٤ هـ ١٩٩٣ م .
٦ - محمد بن علي بن محمد الشوكاني (١٢٥٥ هـ) : نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار ، من أحاديث سيد الأخبار ، ج ٦ ، القاهرة : مكتبة دار التراث (د.ت) .

هذا والله ولي التوفيق .. والهادي إلى سواء السبيل ..

د. علي سعد